ISSN: 1994-4217 (Print) 2518-5586(online)

Journal of College of Education

Available online at: https://eduj.uowasit.edu.iq

The Economic System in the GhaznavidState (351- 582 AH / 962-1186 AD)

Assist Prof: Ahmed Mohamed Jodi

Wasit University

Email: amajeed@uowasit.edu.iq

Keywords:

Ghaznavid state, economic activity, agriculture, industry, markets

Article info

Article history:

Received 10.SEP.2023

Accepted 5.OCT.2023

Published 20.NOV.2023

ABSTRACT

The Ghaznavid state is one of the Islamic emirates that established in the Islamic East and was linked to the Abbasid Caliphate. It ruled for more than two centuries, most of which was characterized by political stability, cultural development, and economic prosperity. Therefore, many researchers in the history of the Islamic East, at the political or cultural level, directed their attention to studying the various aspects of the Ghaznavid state, and we decided Delving into the economic aspect of Transoxiana and Khorasan in the Ghaznavid era.

It dealt with the various aspects of the economic system of the Ghaznavid state, starting with the agricultural irrigation system and the economic activity of agricultural lands, passing through the industrial activity of the Ghaznavid state, and ending with the markets that flourished within it.

Many sources and references were used that benefited the subject of the research, the most important of which was the book (The Image of the Earth) by IbnHawqal (d. 367 AH / 977 AD), the book (Ahsan Al-Taqasim fi Ma'rifat Al-Aqlim) by Al-Maqdisi (d. 380 AH / 990 AD) and the book (TarikhBayhaq) by Muhammad bin Hussein Al-Bayhaqi (D. 458 AH / 1066 AD) As for the references, the most important of them were the book (Khorasan in the Ghaznavid Era) by Muhammad Hassan Al-Amadi and the study (The Markets in Khorasan in the Ghaznavid Era) by Ibrahim Ali Al-Sayyid Al-Qala.

© 2022 EDUJ, College of Education for Human Science, Wasit University

DOI: https://doi.org/10.31185/eduj.Vol53.Iss1.3731

النظام الاقتصادي في الدولة الغزنوية
(٣٥١- ٥٨٢هـ /٩٦٢-١١٨٦م)

أ.م.د. أحمد محمد جودي
جامعة واسط / كلية التربية للعلوم الانسانية

الملخص:

تعد الدولة الغزنوية أحدى الأمارات الإسلامية التي قامت في المشرق الإسلامي وارتبطت بالخلافة العباسية وحكمت لأكثر من قرنين أتسمت أغلبها بالاستقرار السياسي والتطور الحضاري والازدهار الاقتصادي، ولذا وجه كثير من الباحثين في تاريخ المشرق الإسلامي على المستوى السياسي والحضاري اهتمامهم لدراسة الجوانب المختلفة للدولة الغزنوية ، وقد ارتأينا الخوض في الجانب الاقتصادي لبلاد ما وراء النهر وخراسان في العصر الغزنوي.

وقد تناولت أوجه النظام الاقتصادي المختلفة للدولة الغزنوية بدءاً بنظام الارواء الزراعي والنشاط الاقتصادي للأراضي الزراعية، مروراً بالنشاط الصناعي للدولة الغزنوية ، وانتهاءاً بالأسواق التي ازدهرت بين جنباتها.

وقد استخدمت العديد من المصادر والمراجع التي أفادت موضوع البحث وكان أهمها كتاب (صورة الأرض) لابن حوقل، (ت ٣٦٧هـ / ٩٧٧م)، وكتاب(احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم) للمقدسي، (ت ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م) وكتاب (تاريخ بيهق) لمحمد بن حسين البيهقي،(ت ٤٥٨هـ/ ١٠٦٦م) أما المراجع وكان أهمها كتاب (خراسان في العصر الغزنوي) لمحمد حسن العمادي وبحث (الأسواق في خراسان في العصر الغزنوي)، لإبراهيم علي السيد القلا .

كلمات مفتاحية: الدولة الغزنوية ، النشاط الاقتصادي ، الزراعة ، الصناعة ، الأسواق.

التمهيد:

تعد الامارة الغزنوية، (٣٥١- ٥٨٢هـ/٩٦٢-١١٨٦م)، من الأمارات القوية التي ظهرت في المشرق الإسلامي، إذ أخذت الدولة الغزنوية اسمها من مدينة غزنة، احدى مدن افغانستان(الفقي،١٩٩٩، ص٤٧)، ويرجع ظهور هذه الامارة إلى احد قادة المسلمين الذي يسمى (سبكتكين) فقد تولى منطقة غزنة من قبل الساماني‌ين ثم مد سبكتكين سلطانه في الشرق حيث ضم اقليم خراسان الذي ولاه عليه نوح بن منصور الساماني سنة (٣٤٣ هـ / ٩٥٤م)، مكافأةٍ لهُ على قمع الثوار في بلاد ما وراء النهر(ناجي طالب،١٩٨٠، ص٣٩)، ثم عظم شأنه وازداد نفوذه في الدولة السامانية واستولى على هراة وبعد ان ساءت علاقته بالأسرة السامانية اعلن التمرد والعصيان في خراسان واعن استقلاله عن الامارة السامانية سنة (٣٥١ هـ / ٩٦٢ م)، وأتجه سبكتكين بعماله نحو الهند، وساعدهُ في ذلك إذ كان يملك النفوذ والتأييد من الأهالي في تولية الحكم ولكنه التزم في بداية الأمر بدور النصح والمشورة للقائد التركي البتكين[١]، وكذلك دور المراقب للتطورات السياسية التي طرأت على الساحة في الدولة، وعندما وجد الوقت مناسب للتدخل أختاره عامة الشعب لأكمال المسيرة، ليبدأ بذلك دور جديد بتولي سبكتكين الإمارة الغزنوية في المشرق الإسلامي(ابن خلكان، ١٩٩٤،ج٤، ص٢٦٤؛ الذهبي، ١٩٨٥،ج٨، ٦٠٨) وبعد موته حل محله ابنه اسحاق ثم بعده ابنه اسماعيل ثم تولى الامر بعده اخيه محمود ووصلت الدولة الغزنوية في عهده إلى أوج عظمتها اذ فتح بلاد الهند وسيطر على بلاد الغور، وبلد ما وراء النهر واستولى على اصفهان وتمكن من القضاء على الدولة السامانية[٢]، ومنحه الخليفة العباسي لقب يمين امير المؤمنين واصبحت مملكته تشتمل على شبه القارة الهندية من الشرق والعراق العجمي من الغرب وخراسان وطخارستان مركزها بلخ وجزء من بلد ما وراء النهر من الشمال وسجستان من الجنوب، (ابن الأثير، ١٩٩٨،ج٩، ص٧٧).

المبحث الأول: النشاط الزراعي في الدولة الغزنوية:

أولاً : نظام إرواء الأراضي الزراعية :

عنيت الثروة الزراعية باهتمام السلاطين الغزنويين في خراسان من أجل توفير وتعزيز كيان دولتهم فاهتموا في حفر الترع والقنوات وكذلك اهتموا بإقامة السدود للاستفادة من مياه الأمطار الساقطة في فصل الشتاء في معظم أرجاء هذه الدولة وكان لكل منطقة نظام خاص بها يختلف عن المنطقة الأخرى وكذلك إنشاء الدولة ديوان خاص يسمى ديوان الماء ويشرف على هذا الديوان أحد كبار موظفي الدولة وكان يعاون صاحب هذا الديوان عشرة آلاف عامل وكان لهذا الديوان سجل خاص به من أجل تدوين مقادير خراج الأراضي على حسب نوع ريها فكان نظام العشر يحسب على الأراضي التي تسقى سيحا ونصف العشر اذا كان الري بالواسطة حسب الشريعة الإسلامية كذلك أنشأت السدود وخاصة في مرو وكان يشرف على السد أربعمائة غواص في الليل والنهار للمحافظة عليه من الانهيار وفي فصل الشتاء كانوا يطلون انفسهم بالشمع من أجل الغوص في المياه الباردة عندما يحصل أي خلل في السد(ابن حوقل،١٩٣٨، ص ٣٦٥ ؛ محمد جاسم، ٢٠١٣، ص٢٩٦).

وهناك مناطق واقعة شرق فارس وكانت بعيدة عن مجاري المياه الكبرى وكانت طريقة خاصة لري تلك المزارع فكانت هنالك أنهر صغيرة وجداول ايضا صغيرة تنحدر من المرتفعات بعد سقوط الأمطار يكون جريان هذه الأنهر والجداول ولكي يستفاد منها تقام عليه بعض القناطر ومنها مدينة طوس ونيسابور كذلك أنشأت بعض القنوات في مدينة خراسان من أجل الاستفادة منها في الزراعة وكذلك الشرب بالنسبة للأهالي وكانت مدينة نيسابور مشهورة بقنواتها التي تجري تحت الأرض لتسقي ضياعها ويسمى هذا نظام الأفلاج وكانت هذه القنوات في نيسابور غاية الدقة في العمل(محمد جاسم، ٢٠١٣، ص٢٩٦).

وقد اولى الولاة اهتماما بشؤون العامة والمحافظة على مصالح الفلاحين وهذا النظام قام به عبدالله بن طاهر حاكم خراسان الذي أنشاء ديوان الماء كذلك ودعا فقهاء نيسابور لوضع حل المنازعات حول المياه فصنعوا له كتاب (القنى) من أجل حل النزاعات بين الفلاحين بسبب المياه وظل معمول به إلى زمن الكرديري الذي لا زال هذا الكتاب الذي يهتم بأمور الري والزراعة في خراسان،(الاصطخري ،٢٠٠٤ ، ص ١١٦)، وكانت الأنهار من أهم مصادر الري في خراسان وكانت مهمة بالنسبة للزراعة وكان إقليم خراسان يوجد فيه شبكة منتظمة ودقيقة من الجداول والترع لسقي المزارع والبساتين القريبة من المدن ومن هذه الأنهار هي :

- **نهر هراة** : وهو يسقي سهول ربع هراة ومنبعه من جبال الغور قرب رباط كروان ويجري من منبعه مسافة صغيرة نحو الغرب ويمر بمدينة هراة على سبعة اميال من باب الجنوبي قريبا من مدينة مالين ويجتاز هراة باتجاه يوشنج قرب منطقته الجنوبية ثم ينعطف شمالاً إلى سرخس ويتفرع إلى عدة فروع اما الفرع الرئيسي فيذهب إلى هراة فتستخدم مياهه لسقي البساتين والمزارع، (ابن حوقل،١٩٣٨، ص ٣٦٧ ؛ محمد جاسم ،٢٠١٣، ص٢٩٦).
- **نهر مرو** : ويسمى مرغاب وتفسيره مرو اب ومعناه ماء مرو ومنهم يعتبر اسم النهر من اسم المكان الذي يخرج منه الماء ويعرف بنهر مرغاب ومجرى النهر على مرو الروذ وعليه ضياع كثيرة ومنيعة من جبال الغور في شمال شرق هراة وهو يسقي معظم المدن التابعة لكورة مرو ويغذي اربع انهار فرعية في نهر هرمز قرة ونهر الماجان ونهر الرزين ونهر اسعدي (المقدسي، ١٩٠٦،ص ٢٣١).

ثانياً : النشاط الاقتصادي للأراضي الزراعية :

يمكن تقسيم النشاط الزراعي على قسمين:

١. المحاصيل الزراعية:

كانت مدن خراسان تشتهر بزراعة الحنطة والشعير والسمسم ومن هذه المدن كمرو وبست وكوبان وكذلك كانت مدينة سرخس مشهورة بزراعة الحبوب كالحنطة والشعير بالرغم من انها قليلة المياه وهنالك مقارنه قارنها المقدسي(المقدسي، ١٩٠٦، ص٢٣١) عن كمية الحبوب المصدرة كل أسبوع من سرخس بكميات الحبوب المرسلة من القاهرة عن طريق بحر قلزم إلى الحجاز ويتضح لنا ان مدينة سرخس كانت لها صوامع لحفظ الحبوب وتصدير الكميات لكبيرة إلى المدن الأخرى من خراسان عند الحاجة. وكانت اراضي خراسان تنتج المحاصيل الاخرى غير القمح والشعير والذرة حيث كانت تشتهر بالسمسم والجوز واللوز والارز وكانت مدينة هراة تشتهر بالفستق والحنطة(محمد جاسم، ٢٠١٣، ص٢٩٨) كذلك كانت تشتهر بزراعة القطن مما جعلها تشتهر بصناعة المنسوجات القطنية وتميزت مرو وقوهستان ونيسابور باراضيها الخصبة لزراعة القطن المعروف بجودته في جميع ارجاء الاقليم(الاصطخري، ١٩٩٨، ص١٤٩) كذلك اشتهرت خراسان بزراعة الفواكه في جميع أرجائها وكانت مدينة مرو بلد البطيخ المعروف (باليارتك) وهذا النوع كان يحمل إلى العراق في قوالب من الرصاص معبأ بالثلج لرغبة المأمون والخلفاء من بعده كذلك كان يفضل الزبيب في الأماكن الأخرى لأمتيازه بالطعم والجودة وكذلك عرفت خراسان بكثرة أعنابها وكان يذكر ان بطيخ خوارزم كان يقدد ويجفف في الشمس في القواصير ويحمل إلى بلاد الهند والصين واشتهر هذا الاقليم بالعنب والرمان والزبيب والكمثرى كذلك كانت بلخ تشتهر بفواكها مثل العنب والرمان والتين والبرتقال والزبيب اما مرو الروذ فكانت تشتهر مدنها بالبساتين والكروم والفواكه الحسنة(المقدسي، ١٩٠٦، ص٢٣١) اما نيسابور فتعرف بمدينة الفواكه وكذلك هراة وصفت بأنها بستان خراسان ومعدن الأعناب الجيدة والفواكه النادرة من العنب(المقدسي، ١٩٠٦،ص٢٣١).

٢. الثروة الحيوانية والمراعي:

كانت الأراضي في خراسان عما ذكرنا سابقا صالحة للزراعة والمراعي حيث ان نهر امودريا (نهر جيحون) يعتبر الحد الفاصل بين ايران وتوران وكانت مدينة سرخس تقع في ارض سهلة صالحة للمراعي وكانت تشتهر بالجمال التي تستخدم في حمولة البضائع التي تنتقل إلى محيطة بخراسان(الاصطخري، ١٩٠٦، ص١٥٤)، كذلك اشتهرت مدينة الجوزجان في أقليم خراسان بمراعيها الجيدة ووديانها الواسعة والخصبة واشتهرت بالأغنام والابل وكانت الجلود تصدر إلى سائر خراسان.

واعتبرت الأراضي الواقعة في شمال من بحر قزوين وبحر ارال من اخصب الأراضي للرعي حيث كانت مأوى لمجموعة من القبائل الاتراك المعروفة بالغز(العمادي، ١٩٩٧، ص١٣٠) وكانت تستغل هذه الأراضي في المعارك منذ بعضهم البعض كما حدث بين السلاجقة والغزنويين هي معركة دندانقان عام (٤٣١ هـ / ١٠٣٩م) وكان الهدف منها الحصول على اراضي رعوية صالحه لهم ولمواشيهم وكانت قبائل السلاجقة قبائل رعوية يغلب عليها الترحال والتنقل من اجل الكلأ والعشب والماء(البيهقي، ١٩٩٥، ص٦٦٣ – ٦٦٥) كذلك تنوعت الثروة الحيوانية في الدولة الغزنوية فكثرت الجمال ذات السنامين في مدينة بلخ وهي المسماة بالجمال البخاتي وكذلك النوق السمرقندية والخيول التي تسمى الشهاري البخارية وكذلك الخيول العربية التي كانت تربى في روابي اقليم خراسان وبلاد ما وراء النهر وقد أبدى ابو الحسن عبد الحسن عبد الجليل احد زعماء العرب عند ذهابه إلى غزنة للسلطان مسعود استعداده لجلب الخيول والأبل للمشاركة في حربه ضد السلاجقة،(البيهقي ،١٩٩٥ ، ص ٦٥٤).

ولاشك انه كان هناك دور مهم لهذه الثروة الحيوانية في نقل البريد وحراثة الفلاحين للأراضي الزراعية ناهيك عن استخدمها في جيوش خراسان وقوافلها لحمل البضائع والمؤن وانتاج الاصواف والجلود في خراسان(المدني، قحطان عبد الستار، ١٩٧٦، ص ١١٥).

ثالثاً : أنواع الأراضي في عهد الدولة الغزنوية :

١. الأراضي الخاصة بالسلاطين:

وهي الأراضي الخاصة بالسلاطين الغزنويين وكذلك الأراضي الخاصة بالأمراء وكبار الوزراء ورجال الدولة وافراد الاسرة الغزنوية، ويبدو ان هذهِ الأراضي قد توسعت نتيجة شراء الأراضي وتحويل بعض البطائح والمستنقعات، او نتيجة المصادرة التي اتبعها بعض سلاطين الغزنويين، وقد انشأت ادارة خاصة لهذهِ الممتلكات وعرفت بديوان الوكالات وكان هذا الديوان يشرف على ادارة أراضي السلاطين والامراء(البيهقي، ١٩٩٥، ص١٣٦؛ العمادي، ١٩٩٧، ص١٢٢) كما كان يشرف على الجانب المالي في ادارة البيت الملكي ومن أهم من تولى هذا المنصب ابو سعيد سهل الذي عهد اليه السلطان محمود الغزنوي منصب ادارة شؤون ضياعة في غزنة وقد كان هذا العمل من حيث أهميته يعادل عمل صاحب الديوان او الوالي في غزنة، واستمر ابو سعيد في هذا المنصب مدة طويلة إلى ان توفي السلطان محمود فاسند اليه السلطان مسعود منصب صاحب هذا الديوان فضلاً عن عمله في مباشرة الضياع السلطانية وذكر ان السلطان محمود عندما اراد محاسبة ابو سعيد شكل لجنة من المستوفون احصت الاموال التي كانت عليه فبلغت سبعة عشر الف درهم ولم يكن لديه من هذه الاموال سوى الف درهم فاخذ الجميع يتساءلون عن المصير الذي سوف يواجه جزاء هدره هذه الاموال الطائلة الا ان السلطان محمود لم يقوم بمعاقبته بل عفا عنه جزاء للخدمات التي قدمها لأبيه (البيهقي، ١٩٩٥، ص١٣٦– ١٣٧؛ العمادي، ١٩٩٧، ص١٢٢).

وكان هذا الديوان يشرف على ادارة اراضي السلاطين، وبذلك امتلك السلاطين اكبر الأراضي الزراعية وضموها إلى املاكهم في المشرق والتي سبق ان امتلكها الطاهريون، (٢٠٥– ٢٥٩هـ / ٨٢٠– ٨٧٢م)، والصفاريون (٢٥٤ –٢٨٩هـ/ ٨٦٨– ٩٠١م) وكذلك السامانيون (٢٦١– ٣٨٩/ ٨٧٤– ٩٩٨م)، اذ يذكر ان البتكين يعتبر من أكبر الملاك الغزنويين الاوائل في خراسان وما وراء النهر في عهد الامارة السامانية، إذ كان يملك خمسمائة ضيعة في كل من هذين الاقليمين، ولم تكن ثمنه مدينة الا وكان له فيها قصر وبساتين ومحطات وقوافل تجارية(البيهقي، ١٩٩٥، ص١٣٦) ولم تكن جميع الأراضي والضياع عامرة بالزراعة بل كانت إلى جانبها اراضي خربة غير معمورة نتيجة الاهمال او الكوارث الطبيعية، فلذا كانت الأراضي الزراعية عندهم مرتفعة الاسعار فنجد الاعيان يملكون احسن الأراضي في الأرياف لان المدينة كانت مرتبطة بها فكان لأبي نصر بن مشكان دار وحديقة في قرية محمد اباد وكانت أراضيها غالية الثمن فكان الجفت وار الذي يسمى في نيسابور واصفهان جريبا من الأرض غير المزروعة يباع بألف درهم وان كانت عامره بالشجر والزرع تباع بثلاثة الاف درهم وكان ابا سهل الزوزني اشترى في هذه القرية ثلاثين جفت وار لكي يشيد لنفسه قصرا وحديقة وقد دفع للجفت وار الواحد مائتي درهم وكان ذلك في سنة(٤٣٠هـ/ ١٠٣٨م) (العمادي، ١٩٩٧، ص١٢٦– ١٢٧)

وتعرضت الزراعة في بعض الأحيان لكوارث طبيعية كالبرد والثلوج وكذلك الجفاف نتيجة عدم سقوط الأمطار في موسمها، وهذه الظروف كانت تؤثر على القيمة الإنتاجية للأراضي الزراعية، مما كان يؤدي إلى النقص في المواد الغذائية في تلك المناطق فكانت الدولة في هذه الحالات تتخذ الأجراءات اللازمة من أرسال الأمدادات الغذائية والمادية لتوزعها على المتضررين من الأهالي في جميع أرجاء الأراضي المنكوبة، وحدثت سنة (٤٠١ هـ / ١٠١٠ م) مجاعة في خراسان بسبب نزول الصقيع في وقت مبكر من تلك السنة، فأرسل السلطان محمود الامدادات الغذائية وبذل أقصى جهده في تخيف المعاناة عن أهالي خراسان، وكذلك من المساعدات التي قدمتها الدولة للمنكوبين على هيئة قروض مالية ليتمكنوا

من شراء البذور والماشية التي فقدوها وأيضا أعادت اليهم خراج تلك السنة ليحلوا بها المشاكل التي نتجت عن ثلوج والجفاف، ويسددوا منها الديون التي تراكمت عليهم،(العمادي، ١٩٩٧، ص ١٢٧– ١٢٨).

٢. الأراضي الخاصة بالوزراء والعامة:

وكانت هذه الأراضي من أصول متنوعة منها أقطاعات التمليك التي بقيت بيد أربابها (٣٦٦ هـ / ٩٧٦م) والأراضي التي تم أحياؤها او استخلاصها من المستنقعات على أمتداد العصور الإسلامية السابقة، وقد أعطيت لأصحابها الملكية التامة، وكذلك اقتنى أصحاب الثروات الضياع لأنها تعتبر ملكية مستقرة وموردا أكيدا رغم المصادرات الكثيرة التي لحقت بهم، وكان الوزراء الذين ارتفع شأنهم كثيرا في العهدين مثل الميمندي وأبي علي حسن بن محمد العباس اللذان اقتنيا ضياعاً واسعة، لأنهما اساسا من اصحاب العقارات والأملاك الكبيرة، كما كان واضحاً لمعاصريهما، وعندما اعفى السلطان محمود الوزير الميمندي من الوزارة، وصودرت أمواله وجدوا عنه سبعين ونيف ألف ألف درهم، وكذلك عندما صدر حكم الأعدام على الوزير حسنك أمر السلطان مسعود أن يعقد مجلس بالطارم يحضره الوزير والقضاة والمزكون ليكتبون على حسنك الحجة بما يملك من الضياع والاموال باسم السلطان علما انه كان يملك الضياع الكثيرة والأموال الطائلة لأنه كان من أصحاب الثروات وكذلك لأنه استغل منصبه في الأستيلاء على أراضي الأخرين كما بينه البيهيقي عندما اثار القاضي صاعد أمام السلطان مسعود هذه القضية واتهم الوزير حسنك بالتعدي على أراضي أبناء ميكائيل وكذلك أراضي الوقف التي أوقفتها الأسرة الميكائيلية (البيهقي، ١٩٩٥، ص١٣٦– ١٣٧؛ العمادي، ١٩٩٧، ص١٢٢).

٣. أراضي الوقف الإسلامي:

ويدخل في هذا القسم مجموعة الأراضي التي خصصت للأغراض الدينية والمنافع العامة، ويكون الوقف خاصا أو رسمياً، فالأوقاف الخاصة يوقفها بعض الأتقياء من الناس، لأعمال البر، كما فعلت الأسرة الميكائيلية التي أوقفت أراضي واسعة في نيسابور لكي يستفيد من خيراتها الفقراء والمساكين .

ومتى تم وقف الأراضي لم يكن بالإمكان بيعها أو مصادرتها، فلما أراد الوزير حسنك كما أسلفنا أن يتصرف في بعض أراضي الوقف، شكاه القاضي صاعد السلطان الذي أمر بإعادة تلك الأراضي إلى الأوقاف لكي يستفيد من خيراتها جميع الفقراء والمساكين والأوقاف كانت تشرف على المؤسسات الخيرية والدينية والتربوية في كل مدينة وكان تدار بشكل مستقل عن بقية دواوين الدولة من قبل موظفين يدعون (اشراف الأوقاف) وكانت الأوقاف تشرف على الأموال الواردة إلى خزانتها من أوقاف الناس(البيهقي، ١٩٩٥، ص٣٧– ٣٨).

المبحث الثاني: النشاط الصناعي في الدولة الغزنوية :

أزدهرت الصناعة في الدولة الغزنوية ولم يأل السلاطين الغزنويين جهدا في سبيل العمل على تقدمها وكان أقليم خراسان من أكبر المراكز والمؤسسات الصناعية في الدولة مما حدا بالحكام الغزنويون للحفاظ عليها والعمل على نموها وتطورها، ويرجع ازدهار الصناعة إلى وجود الثروة الطبيعية لمعظم المعاد، وكذلك مهارة الصناع ووفرة رؤوس الأموال التي أقامت هذه المصانع فضلاً عن وجود السوق الكبيرة التي كانت تستهلك هذه الصناعات الكثيرة في جميع أرجاء العالم الإسلامي سواء من الصناعات المعدنية أو المنسوجات القطنية والصوفية والحريرية وغيرها من الصناعات الأخرى التي سوف نتكلم عنها بالتفصيل :

١. الصناعات المعدنية:

كانت خراسان مصدرا رئيسيا لمعظم المعادن التي ساعدت على قيام الصناعات وكانت فيها عدة مناجم في جبالها ووديانها، فاهتمت الدولة الغزنوية باستغلال هذه الموارد كالحديد والذهب والفضة، وكان يوجد في كابل ونيسابور وقرغانة

كميات كبيرة من الحديد ما أتاح لأهالي هذه المدن أن يظهروا براعة فائقة في المصنوعات الحديدة مثل السيوف ورؤوس الرماح والسكاكين، في ناحيتي مينك ومرسمندة وهما من أعمال فرغانة بإنتاج أحسن أنواع الحديد التي كان يجهز منها إلى العراق(ابن حوقل، ١٩٣٨، ص٤١٦؛ العمادي ١٩٩٧، ص ١٣٢)

وكذلك كان الحرفيون في نيسابور ينتجون أشياء كثيرة من معدن الحديد كالأسلاك الحديدية والابر والسكاكين كما كانت جبال خراسان الشمالية تحتوي على النحاس والرصاص والأنتيمون والحديد والفضة والذهب _ ولكن الذهب لم يستغل بكميات كبيرة _ فلذا لم يرد عند الجغرافيين اشارة حول هذا المعدن وأماكن وجوده في اقليم خراسان (العمادي،١٩٩٧، ص ١٣٢– ١٣٣)الا ان ابن خرداذبة،(المسالك والممالك،٢٠١٤، ص١٧٩) بين لنا كيف كان يستخرج معدن الذهب من مجاري الأنهار والوديان، ووصف قرية اسمها وخد فذكر أنها كانت تقع على نهر باخشوار وهي أحد أفرع نهر جيجون– وكيف يستخدم أهالي تلك القرية مسوك المعز والأوتاد في استخراجه، وأيضا ذكر أن ذهب بلخ كان من أجود الأصناف وأحمرها وأصفاها وأن الذهب النيسابوري كان من ارادأ انواع الذهب وذلك لوجود بعض الشوائب من البلور وأنه لم يكن صافيا كالذهب البلخي، والذهب من المعادن المستحبة من القدم لا سيما في صناعة الطي التي تتزين بها النساء وكذلك أستخدم في صناعة الأواني وادوات الزينة للقصور وايضا دخل في صناعة المنسوجات الموشاة بخيوط الحرير والذهب واخيرا استخدم في ضرب النقود كدنانير ليكون القوة الاقتصادية التي تتنافس بها الدراهم الفضية في الدولة، أما الفضة فكانت مدينة ينجهير بنواحي بلخ من أهم مواطن الفضة في الدولة ويحدثنا ياقوت عن هذه المدينة بقوله : " والدراهم بها واسعة كثيرة لا يكاد أحدهم يشتري شيئا بأقل من درهم صحيح، والفضة في أعلى جبل مشرف على البلدة، والسوق والجبل كالغربال من كثرة الحفر والبحث عن الفضة". كما كانت الفضة توجد في سمرقند ونيسابور وقرغانة وزابلستان، أما في باذغيس فقد تعطل العمل في مناجمها وذلك بسبب فناء الحطب الذي يساعد على استخراجه وسبكه، (الاصطخري، ٢٠٠٤، ص٢٧١).

٢. المنسوجات القطنية والصوفية والحريرية:

من أهم الصناعات التي أزدهرت بها خراسان في العصر الغزنوي المنسوجات على أختلاف انواعها، وكانت أكبر مراكز صناعة القطن في شرق فارس، وهذه المراكز هي (مرو ونيسابور ويم شرق كرمان)، وقد اشتهرت هذه المدينة بثياب القطن الفاخرة، وعلى الأخص الطيالس، وكانت تحمل منها وتباع في بقية مدن خراسان والعراق ومصر وهناك ايضا مراكز خاصة لنسيج الكتان، وقد اشتهرت مدينة كازرون بصناعة الكتان، حيث نقلت اليها هذه الصناعة من مصر عن طريق فارس حتى سميت مدينة كازرون " دمياط الأعاجم "(المقدسي، ١٩٠٦، ص٤٣٢– ٤٣٤) والكتان من المنسوجات التي تحتاج في البداية إلى ان يبل في البرك، ثم يفصل بعضه عن بعض ويغزل ثم تفل خيوطه في ماء نهر الرهبان الذي له خاصية تبييض خيوط الكتان .

ومن المدن التي اشتهرت بقطنها مدينة مرو، وهذا القطن تصنع منه أفخر الثياب وخاصة الملاحم، وكان العرب يسمون كل ثوب صفيق بالمروي وكل ثوب رقيق بالشاهجهاني والى مرو ينسب القطن اللبن والثياب التي تجهز إلى سائر الأقاليم الإسلامية وكانت من البسة الطبقة الارستقراطية (المقدسي، ١٩٠٦، ص٤٣٤؛ العمادي، ١٩٩٧، ص١٣٤– ١٣٥).

أما مدينة نيسابور فلم تكن أقل شهرة من بقية مدن خراسان فقد تميزت بالمنسوجات القطنية والصوفية حتى وصفها ابن حوقل بقوله : "وبها فاخر ثياب القطن والقز ما ينقل إلى سائر بلدان الإسلام وبعض بلدان الشرك لكثرته وجودته" وأنتجت أيضا بعض المنسوجات مثل الموسلين والعتابي والديمسق التي كانت لها الشهرة الفائقة في ذلك الوقت حتى انتقلت هذه المصطلحات إلى اللغات الأوربية في صناعة الأقمشة القطنية والحريرية، وكذلك أنتجت مصانع نيسابور أقمشة لكل طبقات المجتمع وبمختلف الجودة فمنها الأقطان واللباد التي كانت لباس عامة الشعب، ومن الأنواع والأصناف الرخيصة الثمن والميسور شراؤها لجميع أفراد الطبقة الدنيا(ابن حوقل، ١٩٣٨، ص٣٦٣).

٣. السجاد وأنواعه:

كذلك كانت توجد في خراسان صناعة السجاد ولوجود المواد الأولية التي تدخل في هذه الصناعة وقد اشتهرت قوهستان بالبسط والمصليات ويرجع سبب ازدهار هذه الصناعة إلى تشجيع الملوك والأمراء ورجالات الدولة لها . كذلك اشتهرت خراسان بصناعة الجلود لتوفر الثروة الحيوانية الكبيرة في تلك المدن لوجود المراعي الواسعة الخصبة للاستفادة من لحومها وجلودها واشتهرت مدينة بلخ بدباغة الجلود وصناعتها وكانت خوارزم مصدرا للفراء وسائر أنواع الوبر من السمور والفنك والوثق والسنجاب والثعالب كما أشتهرت مدينة نيسابور بصناعة السيور الجلدية والسراجة . كذلك أشتهرت خراسان بالصناعات الخشبية لوجود جذوع الأشجار في تلك الغابات الكثيفة كذلك استوردت خراسان خشب الساج والهندي في بناء البيوت لما له ميزة خاصة في بناء البيوت . كانت مدينة نيسابور تميزت بصناعة الصناديق والطرائف والتحف الخشبية كذلك أشتهرت خراسان وبلاد ما وراء النهر بصناعة الخزف والزجاج في العصر الغزنوي وكذلك بصناعة الادوية والعقاقير الطبية والعطور والصابون والسجاد(المقدسي، ١٩٠٦، ص٣٢٤ ؛ زكي محمد،١٩٨٧، ص١٤٠).

المبحث الثالث: الأسواق في عهد الدولة الغزنوية :

أدت الأسواق دوراً كبيراً في ازدهار الحياة الاقتصادية حيث تعد مركزا هام الاستقطاب التجارة، ومجالا حيويا للنشاط المالي، وبهذا تعد عنصرا اساسيا في رخاء المدينة وازدهارها أقتصاديا، فكانت السوق مركز البيع والشراء وبها تعقد الصفقات، وتقرر حالة البلاد الاقتصادية، اذ أن السوق أبرز ميادين تصريف الإنتاج الزراعي والصناعي، كما أن العملة المتداولة في السوق كانت أحد عوامل الأستقرار فإذا كانت العملة بعيدة عن الغش والتدليس بمعنى أن ينقش عليها كلمة عال غاية وهي كاملة الجودة، ادى ذلك إلى أستقرار السوق كما أن عدم تطبيق سياسة الاحتكار وذلك بمراقبة الأسعار والموازين من عوامل الأستقرار الاقتصادي في الدولة (ابراهيم علي السيد، ١٩٧٦، ص١٨).

وكان للأسواق تأثير في الحياة الاجتماعية بخراسان حيث كان يلتقي المسلمون مع غيرهم فيتعارفون ويتحدثون وفيها أختلطت عناصر السكان المختلفة من العرب والعجم والمسلمين وأهل الذمة، وتأثير بعضهم البعض في العادات، والتقاليد واللغة، والطعام والشراب والملابس وغيرها من العادات الاجتماعية وشاركت الأسواق في الاحتفالات فعلى سبيل المثال لما سمع أهل غزنة بقدوم الأمير مسعود الغزنوي سروا سرورا بالغا وشغل الجميع بالطرب والسرور فزينوا الأسواق وخرج المطربون وظلوا هناك بضعة أيام وأقاموا الأفراح ليلا ونهارا في انتظار مجيئ الأمير أليهم وذهب الأعيان والتجار وقادة المدينة جميعا لاستقباله وتقديم فروض الطاعة والولاء له، وطربوا ونثروا الدراهم والدنانير ابتهاجا بذلك، ولما حظر الأمير مسعود لاطفهم جميعا وتمنى لهم الأمنيات الطيبة (الكرديزي، ١٩٧٢، ص٢٧٧؛ بارتولد، ١٩٨١، ص٢٤).

كانت الأسواق دائما تقع حول المسجد الجامع حيث يلاحظ في معظم مدن خراسان الارتباط بين السوق والمسجد، وهذه الصفة توجد في المدن الكبرى في خراسان مثل هراة وبلخ ومرو ونيسابور كما توجد أيضا في المدن الصغيرة مثل أبيورد وطابران ونوقان، وفي بعض المدن كان جامعها خارج سوقها مثل سرخس التي كان سوقها في ربضها (المقدسي، ١٩٠٦، ص٣١٣).

وقد تداخلت عدة عوامل في تحديد موقع الأسواق حيث كان لنشاط الأسواق بالمدينة علاقة وطيدة بشوارعها وأثر كبير في حالة المرور فيها، وقد أنعكس ذلك على خريطة الأسواق في أي مدينة، فكانت أسواق هراة بالقرب من أبواب المدينة وسبب ذلك كي لا يتزاحم الناس أثناء الدخول والخروج ولكي تخدم طرق التجارة الرئيسية وسهولة جلب وتصدير البضائع خلالها(القزويني،١٩٦٠، ص٨)، وكانت هذه الأسواق صفوفا في مكان واحد وكانت شوارعها ملكا للإدارة في هراة تأخذ عنها أجراً (ادم متز، ١٩٧٠،ج١، ص٢١٥)' فأنشاء الأسواق الأسبوعية خارج أبواب المدينة كان لما تحتاجه من مساحة كبيرة ومن رغبة في سهولة الانتقال منها واليها، وايضا الرغبة في التخفيف قدر الإمكان عن شوارع المدينة الداخلية التي

حكمت أتساعها ونظامها عوامل أخرى لتوفر لها نوعا من الهدوء والنظافة ولذا نجد الأسواق الأسبوعية كثيرا ما يقل تواجدها داخل المدن وهي عادة قلما توجد الان في المدن الكبيرة(ابراهيم علي السيد، ١٩٨٧، ص١٩-٢٠).

وكانت بعض الأسواق تتركز في الأطراف في المناطق القريبة من أبواب المدن كأسواق الحبوب، وغيرها من أسواق الجملة وأسواق المواد ثقيلة الوزن وكبيرة الحجم التي يؤثر نقلها إلى داخل المدينة في حركة المرور في شوارعها(عبد الستار عثمان،١٩٩٠،ص٢٦٠)، وكانت مدينة جرنج تقام أسواقها على قنطرة مقامة على نهرها (الحموي،١٩٨٠،ج٢، ص١٩٩)

وتحكمت بعض الاعتبارات في موقع الأسواق حتى لا يحدث أي ضرر لأصحاب الأسواق أو العامة من ساكني المدينة فمن كانت صناعته تحتاج إلى وقود نار كالخباز والحداد كان يجب أبعادها عن العطارين والبزازين، كما تحكمت في مواضع الأسواق أو نوعية السلع المباعة، فقد منع القصابون من الذبح على أبواب حوانيتهم وكانوا عليهم أن يذبحوا في المذبح، (الشيرازي، ١٩٦٤، ص١١)، الذي يوجد غالبا خارج المدينة وارتبط بذلك قرب أسواق اللحم من أبواب المدينة الخارجية، لتسهل نقل اللحم من أماكن ذبحها إلى الحوانيت القصابين، وكانت صناعة الفخار من الصناعات التي لا يفضل وجودها وسط المنازل العامة ومن ثم وجدت في أطراف المدينة (ابراهيم علي السيد،١٩٧٨، ص٢٠).

وقد اقتضت حاجة ابناء المدن للأسواق ووجودها داخل المدن لتلبية الحاجات اليومية لهم، كحوانيت الدقيق والخبز والأسواق الصغيرة التي عرفت بالسويقات نظرا لصغر حجمها، فضلاً غن بعض الأسواق الخاصة ببعض البضائع الكمالية كأسواق الأقمشة والزينة والمصوغات وسواها، التي رغم عدم وجود حاجة يومية لها إلا أنها كانت مهمة للقطاعات النافذة والثرية في المجتمع الغزنوي(ابراهيم علي السيد، ص٢٠).

كما تميزت أسواق خراسان بخاصية هامة إذ ارتبطت مدنها ارتباطا وثيقا برساتيقها فقد كانت خراسان أربعة أقاليم هي : نيسابور، ومرو، وهراة، وبلخ، وثلاثة عشر رستاقاً، وكل رستاق كان يعتبر كيانا في حد ذاته وله لهجته الخاصة، ويحتوي على سوق مركزي ليس من الضروري أن تكون كبيرة جدا كما كان للرستاق الأوزان والمكاييل الخاصة به(العمادي، ١٩٩٧، ص١٤١).

وكانت أسواق نيسابور قد أشتهرت من بين مدن أقاليم خراسان وهي أسواق مكتضة بالدكاكين، وفيها التجارات من كل صنف منها على حدة وتجارها أثرياء وتؤمها السابلة والقوافل كل يوم (ابن حوقل، ١٩٩٤، ص٣١٠- ٣١٢). ويذكر لسترنج (لسترنج، ١٩٠٤، ص٤٢٢)' أن في نيسابور أثنان وأربعون محلة فيها ما يكون في نصف شيراز ودروبها المؤدية دروبها إلى زهاء الخمسين فكانت أسواقها خارج المدينة والقهندز في الربض، وخيرة أسواقها سوقان : أحدهما تعرف بالمربعة الكبيرة ويوجد في شرق المدينة، والأخرى بالمربعة الصغيرة وتحوي هذه الأسواق خانات وفنادق يسكنها التجار، وفيها الخانبارات للبيع والشراء(ابن حوقل، ١٩٩٤، ص٣٦٢).

وكان سوق المربعة الكبيرة قرب المسجد الجامع وسوق المربعة الصغيرة على بعد قليل من السوق الاخر في الأرباض الغربية قرب ميدان الحسنين ودار الأمارة متعامدة معها أسواق اخرى، وفيها التجارات كل صنف منها على حدة وللأساقفة والبزازين والخرازين وغيرهم من أصحاب الحرف خاناتهم، وقد غطت شوارعها بالسقوف لتحمي المدينة من الأمطار والأعاصير حتى لا تعوق حركة البيع والشراء وكان يباع في أسواق نيسابور الفواكه والرياس (ابراهيم علي السيد، ص ٢١).

الخاتمة

انتهت دراستي للدولة الغزنوية وانشطتها الاقتصادية المختلفة إلى جملة نتائج أبرزها:

١. كشفت الدراسة أن الدولة الغزنوية تعتبر واحد من أهم الأمارات الإسلامية التي قامت في المشرق الإسلامي والتي أستمر حكمها لأكثر من قرنين .
٢. أوضحت الدراسة مدى الرخاء الاقتصادي الذي حظيت به خراسان وأقليم ماوراء النهر في ظل الحكم الغزنوي .
٣. كشفت الدراسة مدى تطور النظام الزراعي ونظام الري في الأقاليم الواقعة تحت حكم الغزنويين .
٤. بينت الدراسة كيفية توزيع الأراضي الزراعية وملكياتهم في ظل الحكم الغزنوي .
٥. بينت الدراسة مدى تطور النشاط الصناعي في مناطق الدولة الغزنوية وخاصة صناعة الذهب والفضة والمنسوجات القطنية والصوفية والحرير فضلا عن تطور صناعة السجاد.
٦. كشفت الدراسة وبينت مدى أهمية الأسواق في تطور النشاط الاقتصادي في بلاد خراسان وما وراءالنهر .
٧. اكدت الدراسة على الدور المتميز الذي لعبته السياسة الغزنوية في ادارة الاقتصاد.
٨. بينت الدراسة كيفية معالجه الدولة للازمات الاقتصادية التي مرت بها البلاد خلال فترة حكمهم.
٩. اهتمام الدولة بالاراضي الزراعية وتطويرها بشكل يخدم الجانب الاقتصادي.
١٠. بينت الدراسة اهمية الجانب الاقتصادي والدور الذي لعبه في نهوضها.
١١. وضحت الدراسة جوانب الفساد المالي وكيفية القضاء علية وما هي الطرق المستخدمه في مثل هذا الموقف.
١٢. ذكرت الدراسة اهمية الاسواق في هذه الفترة ودورها في تسويق البضائع والترويج لها .

الهوامش التعريفية:

(١) هو ابو اسحق بن البتكين صاحب جيش غزنه للسامانين توفي سنة (٣٦٦/ ٩٧٦م) ولم يخلف من اهله واقاربه من يصلح بعده فاتفق الناس على سبكتكين الغزنوي ليحل محله في جيش غزنه . ابن خلكان : وفيات الاعيان ،ج٥ ،ص ١٧٦

(٢) هي بلاد واسعة بين هراة وغزنة وتمتاز بانها بلاد باردة موحشه. الحموي :معجم البلدان،ج٤،ص٢١٨.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً – المصادر:

١. ابن الأثير : أبو الحسن علي بن ابي كرم (ت، ٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، تحقيق : عمر عبدالسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٧م.

٢. الأصطخري : ابو اسحق ابراهيم بن محمد، ت ٣٤٦هـ، المسالك والممالك، تحقيق د. محمد جابر عبد العال الحسيني / مراجعة، محمد شقيق غربال، دار القلم، القاهرة ١٩٦١ م.

٣. البيروني : ابو الريحان محمد بن احمد، الجماهر في احوال الجواهر، حيدر باد، الدكن، ١٩٥٨م

٤. البيهقي : ابو الفضل محمد بن حسين،(ت ٤٧٠ هـ)، تاريخ البيهقي، ترجمة يحيى الخشاب وصادق نشأت، مصر، ١٩٩٥م

٥. ابن الفقيه : الهمداني، اواخر القرن الثالث الهجري، ابو بكر احمد بن محمد، مختصر كتاب البلدان، نشر دي غويه، ليدن،١٨٨٥م

٦. ابن حوقل : ابو القاسم محمد بن حوقل النصيبي، (ت٣٦٧هـ) ، صورة الأرض،(بيروت، ١٩٨٣).

٧. ابن خرداذبة: ابو القاسم عبيد الله بن عبدالله بن احمد، المسالك والممالك، القاهرة ،٢٠١٤.

٨. ابن خلكان : ابو العباس شمس الدين، (ت٦٨١هـ)، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، (بلا ط)، (بلا م).

٩. الخوارزمي : محمد احمد بن يوسف، ت ٦٢٦ هـ، مفاتيح العلوم، تقديم واعداد، عبد اللطيف محمد الجر، دار النهضة العربية، القاهرة،

١٠. الشيرازي : عبد الرحمن بن نصر (ت٥٨٩هـ) نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق : السيد العربي، القاهرة،١٩٦٤م .

١١. الذهبي :شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان،(ت ٧٤٨هـ)، تاريخ الإسلام، دار الكتب العربي، ١٩٩٠.

١٢. القزويني : زكريات محمد بن محمود (ت٦٣٢هـ)، اثار البلاد وأخبار العبار، بيروت، دار صادر، ١٩٦٠هـ

١٣. الكرديزي : ابو سعيد عبد الحي بن الضحاك بن محمود، ت اواسط القرن الخامس الهجري، اواسط القرن الحادي عشر ميلادي، زين الأخيار، تعريب محمد بن تاويت،١٩٧٢م .

١٤. المقدسي :شمس الدين ابو عبدالله محمد، (ت ٣٧هـ) .، احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق، ديغويه، ليدن –١٩٠٦م

١٥. ياقوت الحموي : شهاب الدين ابو عبدالله الرومي البغدادي، (ت ٦٢٦هـ)، معجم البلدان،دار صادر، بيروت، (بلا ط).

ثانياً – المراجع :

١. ابراهيم علي السيد : الأسواق في خراسان خلال العصر الغزنوي، القاهرة، ١٩٧٩.

٢. بارتولد : فلاديمير وفتش، تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي، ترجمة، صلاح الدين عثمان هاشم، الكويت، ١٩٨١ م

٣. الحديثي : قحطان عبد الستار، خراسان في العهد السامانى، رسالة دكتوراه، غير منشور، كلية الأداب، جامعة بغداد، ١٩٨٠ م

٤. سرور : محمد جمال الدين، تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق من عهد نفوذ الاتراك إلى منتصف القرن الخامس الهجري، الهجري، القاهرة، ١٩٧٦ م

٥. العمادي : محمد حسن عبد الكريم، خراسان في العهد الغزنوي، جامعة اليرموك، الأردن، ١٩٩٧م

٦. الفقي : عصام الدين عبد الرؤوف، الدول المستقلة في المشرق الإسلامي، دار الفكر العربي، القاهرة،١٩٩٩م.

٧. القلا : ابراهيم علي السيد، الأسواق في خراسان خلال العصر الغونوي، مجلة كلية الاداب، القنا، العدد (٢٤)،٢٠٠٨م .

٨. زكي محمد : الفنون الايرانية في العصر الإسلامي، ايران، ١٩٨٩.

٩. عبد الستار عثمان :المدينة الإسلامية، القاهرة، ١٩٩٤.

١٠. لسترنج: كي، بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة : بشير فرنسيس وكوركيس عواد، مطبعة الرابطة، بغداد، ١٩٠٤ م .

١١. متز: ادم، الحضارة العربية الإسلامية في القرن الرابع الهجري، نقله إلى العربية محمد عبد الهادي ابو ريده، القاهرة، (بلا ط).
١٢. محمد جاسم حمزة : الحالة الاقتصادية في خراسان في العصر الغزنوي، مجلة العلوم الإنسانية، مجلد (١)، العدد (١٨)، البصرة ٢٠١٣م .
١٣. مؤنس :حسين، عالم الإسلام، القاهرة ، ١٩٨٧م
١٤. المدني، قحطان عبد الستار، القاهرة ، ١٩٧٦.